الجزء الثاني

المعرض

السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ مارس (آذار) سنة ١٩٣ ـ ذو الحجة سنة ١٣٢٠

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشاهير الشرق

حمورابي

(واضع الشرائع البابلية التي يُقال ان بعض شرائع التوراة نُقلت عنها)

ترجمة حمورابي · شرائعه · التوراة وهذه الشرائع · كتاب الامبراطور غليوم الذي شغل جرائد العالم · الاعصر التاريخية والاعصر المجهولة · رأي المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية · بابل مضروبة وضاربة

لما نشرنا منذ عدة شهور في باب « آثار الشرق القديمة » في الجزء السابع من السنة الثالثة فصلاً عنوانه « آثار من زمن ابرهيم الخليل » وذكرنا فيه ما اكتشفه المسيو دي مورغان في سوس من شرائع العيلاميين ـ لم يكن يدر في خلدنا ان هذا الاكتشاف سيكون له الاهمية العظمى التي كانت له في اوربا حتى ان الامبراطور غليوم نفسه يضطر الى المداخلة في شأنه بكتاب طويل اقام جرائد المانيا واقعدها · ونحن نغتنم هذه الفرصة لنقل هذا الكتاب الغريب الذي ادهش به هذا الامبراطور العالم شأنه في اكثر الاشياء التي تصدر عنه ·

وبهذه المناسبة ننشر ترجمة الرجل الشرقي العظيم (حمورابي) الذي كُتب هذا الكتاب بسببه وما يلزم عن ذلك من البيان فنقول

***

ترجمة حمورابي حمورابي او حامورابي او هامورابي اسم جديد سيكون له في تاريخ البشر في الارض منزلة تعادل منزلة اعظم الرجال الذين خدموا الحضارة ورقوا شؤون البشر فلا الاسكندر في عظمته ومجده ولا دريوس في بذخه وسلطانه يساوى مقامه مقام هذا الملك الممدّن . وهو ملك ساميّ حكم بابل بين سنة ٢٣٩٤ و٢٣٣٩ قبل الميلاد اي منذ ٤٤ قرنًا (٤٤٠٠ سنة) واسمه « حمورابي » مشتق من اللغة العيلامية ومعناه علي ما يُقال « المولود من نسل كريم »

وقد نقلت احدى الرصيفات عن جريدة النشرة الاسبوعية الغراء التي تُطبع في بيروت شيئًا عن هذا الملك البابلي ومنه يُعلم ما كان له من المنزلة العليا في زمنه . وهذا نص كلام النشرة الاسبوعية :

„ لم يبقَ ادنى ريب في ان هامورابي هو امرافل ملك شنعار المذكور في سفر التكوين وانه كان ساميًا دخل على الترجيح ارض شنعار الخصبة (او سومر وهي بلاد الكلدان المعروفة بكلدية الواطئة) من بلاد العرب . وكان قد غلب الكلدانيين واستولى على بلادهم . وكان قد مرَّ على العيلاميين قرونٌ وهم مستولون على بابل . فحارب العيلاميين وطردهم من الارض الكلدانية وملك كل العالم المتمدّن في عصرهِ ما عدا مصر . فكان ملكهُ من بلاد الفرس الى البحر المتوسط . واما الحروب المتوالية التي مكَّنته من ذلك المُلك فلا نعلم تفصيلها . ولكن ما في الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين يدل على انه في قديم الازمنة وكان يملك حينئذٍ في عصر فيه ملك عيلام السائد

„ وكان لنا قبل اكتشاف شرائع هامورابي العجيبة ما هو كافٍ من اخبارهِ لمعرفتنا انه الظافر والباني هيا كل الآلهة وانه كان من السياسيين المجتهدين في نفع رعاياه . قال ناقل هذا النباء « وقد شاهدتُ مئات من الاميال المربعة من ارض وادي الفرات العجيبة الخصب فلاةً وعراءً يابسًا وعلة ذلك انسداد القنوات التي كانت تسقيها . وكان هامورابي بنى سدًّا حيال نهر دجلة دفعًا لاضرار طوفانه وانشأ قنوات يجريه فيها الماء الى امدٍ بعيد فيسقي الارضين ويحييها » . قال ذلك الملك في ما تركهُ من مكتوباته « لما اعطاني الاله انو والاله بعل المُلك على ارض سومر واكاد (وهي الجنوب والشمال من بلاد بابل) ووضع مقودها

في يدي حفرتُ قناة هومارابي فحملت كثيرًا من المياه الى اراضي سومر واكاد فجعلت الارض على جانبي النهر صالحة للفلاحة والزراعة وجمعت غلة الحنطة واعددتُ المياه في سومر واكاد للاعقاب وجعلتُ الارض التي قسمها السكان واحدة واعددت طعامًا وشرابًا وسستهم بنعم وافرة واسكنتهم في الامن والسلام »

« فكان هامورابي سياسيًا مدربًا كما كان بطل حرب ووقف نفسه لنفع رعاياه . وتبين من الكتابة على العمود الذي اكتشفه دي مرغان حديثًا انه كان ممن يؤلهون الشمس وادّعى انها هي التي اعطته الشريعة . فعلى ذلك العمود ما ترجمته « بامر الشمس حاكم السموات والارض الاعظم ليكن العدل في الارض وباسم ربي ميروداخ انهى عن هدم ما اقمته تذكارًا في هيكل ايساغيل الذي احبه . فليردّد اسمي (على الالسنة) ابدًا . وليقف كل مظلوم له دعوى شرعية امام صورتي هذه باعتبار اني « ملك البِرّ » وليقراء المكتوب وليفهم كلماتي الثمينة . وهذا المكتوب يبين له دعواه فيرى ما هو الحق ويبتهج قلبه ابتهاجًا يحمله على ان يقول هامورابي ملكٌ كاتب لرعاياه تمسك بكلام ميروداخ بالهيبة والاكرام وانتصر بمساعدة ميروداخ على الشمال والجنوب وابهج قلب ميروداخ ربه فوهب منافع دائمة لشعبه ووطد شريعته في الارض . ومتى قرأ النبأ فليصلِّ بكل قلبه امام ميروداخ سيدي وزربانيت سيدتي . وحينئذ الارباب الواقية والآلهة الذين كثيرًا ما يترددون في حضرة ايساغيل لا بدّ من ان يهبوا له بوفور النعمة المشتهيات اليومية امام ميروداخ مولاي وزربانيت مولاتي »

« ولقب « ملك البِرّ » من احب الالقاب وقد ادعاه هامورابي لاعتقاده انه استحقه لبره برعيته كما يظهر من قوله على ذلك الاثر « هامورابي ملك البر . الذي منحته الشمس حقًا (او شريعةً) انا هو . كلماتي تُراعى . اعمالي لا نظير لها لا أُطئ الأعلين وأضع المتكبرين وانفي العُتاة فاذا راعى خَلَفٌ متسلط كلماتي التي كتبتها في رسمي هذا ولم يُبطل شريعتي ولا يفسد كلماتي ولا يغير ما اقمته تذكارًا قوّت الشمس ملك ذلك الملك كما قوّت ملكي . فملك البِر هو الذي يملك بالبر رعاياه »

« ومما كتبهُ هذا الملك يتبين ان بعضه كأنه كُتب بقلم موسى او سليمان ومن ذلك قولهُ

« في مستقبل الزمان في كل الاعقاب الآتية ليراعِ الملك الذي يكون في الارض كلمات البِر التي انا كتبتها على حجري التذكاري هذا شريعة مملكتي التي وضعتها والسنن التي سننتها لا يغيرها . ولا يشوه ما اقمته تذكارًا . وان كان المتسلط حكيمًا وقادرًا ان

يسوس الارض بمقتضى الشرع فليراعِ كلماتي التي كتبتها في مرسومي القانون والفرائض والشرائع التي اعطيتها والاحكام التي وضعتها . فهذه كلها تظهرها له هذه الكتابة . فليحكم على رعاياه بمقتضاها ويخاطبهم بالعدل وليستقم بالاحكام . ولينفِ الاشرار والمجرمين من ارضه وليعد المنافع الى رعاياه »

« وما كتبه هامورابي للملوك الذين يخلفونه ككتاب وشفتون الوداعي الى خلفائهِ . ولا ريب عندنا ان سيرته واعماله النافعة في الزمن الطويل كانت مما اكرمهُ واحترمه خلفاؤهُ . ثم كان بعد ذلك خمسة قرون سلام وراحة ونجاح ثم جاء الغزاة من جبال عيلام وعاثوا في بابل وسورية

« ونعلم من قانون هامورابي انه اشتمل على شرائع انتشرت في كل الشرق نحو ٢٣٠٠ سنة قبل الميلاد . وقد انتقت شريعة موسى وشريعة هامورابي في امور كثيرة وهي تدل على قِدم التمدن والعدل والشرائع النافعة . » انتهى كلام النشرة بتصرف يسير

***

شرائع حمورابي ولقد قلنا في السنة الماضية ان المسيو دي مورغان وجد شرائع هذا الملك العظيم في خرائب سوس منقوشة على عمود من الحجر الصلد طوله متران ونصف وهو المذكور هنا بالصفحة ٦٩ السطر ٢٦ وعليه اربعة آلاف سطر قرأها الاب شيل العالم باللغة العيلامية . ونحن نلخص هنا بعضها استيفاءً للكلام واتماماً للفائدة

تبدأ هذه الشرائع بعقاب السحر والتجديف والرشوة القضائية والسرقة وغيرها من الجرائم التي عقابها الموت . ثم تستطرد الى السرقة الاعتيادية وخطف الاشخاص وقصاص العبيد الآبقين وقطع الطرق . وبعد ذلك تنتقل الى مسائل بيع المنازل والاراضي وتأجيرها واقراض الاموال وتنظيم الشؤون التجارية . وللمرأة مكان واسع في هذه الشرائع فان واضعها نصّ على جميع الاحوال المتعلقة بها سواء كانت تتجر ببيع المشروبات او كانت مقيمة بالبيت . فالزنا مثلاً يُعاقَب بالقتل وذلك باغراق الفريقين في نهر . ولكن اذا كانت المرأة قد غُصبت فيغرق الرجل فقط . واذا كانت امرأة قد ذهب زوجها اسيراً في الحرب فليس لها ان تتزوج غيره الا اذا كانت فقيرة لا تقدر على سد حاجاتها . ولكن اذا كانت غنية واتخذت رجلاً غير زوجها فتغرق . واذا عاد زوجها من الاسر وكانت قد تزوجت من الفقر فيجب عليها ان تعود الى زوجها الاول ولكنها تترك لزوجها الثاني الاولاد الذين رزقتهم منه . وفي هذه الشرائع نص على حالة كالحالة التي كانت مع ابرهيم الخليل . فان ساره لما رأت نفسها عاقراً دفعت خادمتها هاجر الى زوجها فولدت منه اسمعيل . ثم غارت منها

ساره فطردتها . فالشريعة العيلامية تجيز امراً كهذا الامر في حالة عقم الزوجة . لكن متى وضعت الخادمة من سيدها فسيدتها لا يجوز لها بعد ذلك ان تبيعها ولا ان تسيء معاملتها . وبذلك تكون ساره بطردها هاجر قد خالفت هذه العادة البابلية التي كانت متبعة في جميع اقطار الشرق في ذلك الزمان

وفي الشريعة البابلية للاطباء نظام في غاية التدقيق . من ذلك : ان الطبيب اذا عالج عين رجل حرّ وشفاها اخذ اجرته . ولكنه اذا عطّلها فان يده تُقطع .. واذا كان الرجل عبداً لا حراً وعطل الطبيب عينه او اماته وجب عليه ان يبتاع لسيده عبداً غيره . وهذه الصرامة غير مقصورة على البشر بل تتناول الحيوانات . فاذا عالج طبيب حيواناً وقتله وجب عليه ان يدفع لصاحبه ربع ثمنه

وللبنائين والمقاولين نظام صارم ايضاً . فاذا بنى بنّاء منزلاً فجاء بناؤه حسناً فان البنّاء يأخذ اجرته . ولكن اذا سقط هذا المنزل وقتل صاحبه فان البناء يُقتل . واذا قتل ابن صاحبه قُتل ابن البنّاء واذا قتل عبد صاحبه وجب على البناء ان يعطيه عبداً بدلاً منه . واذا تلف اثاث المنزل بسقوطه لزم الباني ان يبتاع اثاثاً مكانه . ثم يلزمه ان يعيد بناء المنزل لانه كان سبب سقوطه

واذا اضطرمت النار في احد المنازل وركض احد لاخمادها ثم خطر له ان يسرق شيئاً من ذلك المنزل وجب القاؤه في النار المضطرمة . واذا نقب احد منزلاً ليسرقه وقُبض عليه فانه يجب قتله ودفنه امام الجدار الذي نقبه . واذا قطع احد شجرة من غير اذن صاحبها وجب ان يدفع اليه مبلغاً من الفضه . واذا استأجر بقرة وماتت من سوء معاملته وجب ان يردّ الى صاحبها بقرة مثلها واذا كان قد قلع عينها فقط وجب ان يدفع اليه نصف ثمن مثلها . واذا وهب رجل امرأته شيئاً من ماله او من حقوله وبساتينه فليس لابنائه ان يستردوا منها شيئاً بعد وفاته . ولها ان توصي بالمال الموهوب الى الولد الذي تختاره . واذا اودع رجل لدى رجل آخر وديعة ولم يكن عليها شاهد ثم وقع خلاف بهذا الشان فلا يجوز رفع هذه القضية الى المحاكم »

وعلى ذلك فالعقاب في هذه الشرائع مبني كما رأيت على قاعدة « العين بالعين والسنّ بالسنّ » اذا كان المُساء اليه من الاحرار والاشراف . واما اذا كان من العامة والارقاء قُبلت الغرامة المالية من المسيء

ولو اردنا نشر جميع مواد هذه الشريعة للزمنا ان نملأ بها هذا الجزء كله

***

﴿ **التوراة وهذه الشرائع** ﴾ فلما انتشرت ترجمة هذه الشرائع في اوروبا في هذا العام قام لها العلماء وقعدوا . وكتب احدهم الى احدى الجرائد يقول :فليتحمل مكتشفوهذا الاكتشاف تبعة اكتشافه . وايضاحاً لمعنى هذا الكلام نقول

يظهر انه وجد بين هذه الآثار المكتشفة حديثاً وبين رواية التوراة شيئاً من الاختلاف والتشابه . اما الاختلاف فهو في الحوادث التاريخية واما التشابه فهو في الشرائع والنظامات . وليس يتسع المجال في هذا المقام للخوض في هذه المسألة بالتفصيل وانما نكتفي بذكر قضيتين

الاولى ان علماء المانيا قد اثبتوا ان حمورابي هذا هو الملك امرافل الذي ورد ذكره في السطر الاول من الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين وان كان علماء فرنسا لا يؤكدون ذلك . وزيادة في الايضاح ننقل هذا الاصحاح برمته . وهذا نصهُ :

((وحدث في ايام **امرافل ملك شنعار** واريوك ملك الأسار وكدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جويم ان هؤلاء صنعوا حرباً مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك ادمة وشمئيبر ملك صبويم وملك بالع التي هي صوغر . جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين الى عمق السديم الذي هو بحر الملح . اثنتي عشرة سنة استعبدوا لكدرلعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه . وفي السنة الرابعة عشرة اتى كدرلعومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائيين في عشتاروت قرنايم والزوزيين في هام والايميين في شوى قريتايم والحوريين في جبلهم سعير الى بطمة فاران التي عند البرية . ثم رجعوا وجاءوا الى عين مشفاط التي هي قادش . وضربوا كل بلاد العمالقة وايضاً الاموريين الساكنين في حصّون تامار . فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك ادمة وملك صبويم وملك بالع التي هي صوغر ونظموا حرباً معهم في عمق السديم مع كدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جويم **وامرافل ملك شنعار** واريوك ملك الأسار . اربعة ملوك مع خمسة . وعمق السديم كان فيه آبار حُمَر كثيرة . فهرب ملكا سدوم وعمورة وسقطا هناك والباقون هربوا الى الجبل . فاخذوا جميع املاك سدوم وعمورة وجميع اطعمتهم ومضوا . واخذوا لوطاً ابن اخي ابرهيم (الخليل) واملاكهُ ومضوا اذ كان ساكناً في سدوم . فاتى من نجا واخبروا ابرهيم . وكان ساكناً عند بلوطات ممرا الاموري اخي اشكول واخي عانر . وكانوا اصحاب عهدٍ مع ابرهيم . فلما سمع ابرهيم ان اخاه سبي جرغمانه المتمرنين ولِدان بيته ثلث مئة وثمانية عشر وتبعهم الى دان وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم وتبعهم الى حوبة التي عن شمال دمشق واسترجع كل الاملاك واسترجع لوطاً

اخاه ايضاً واملاكه والنساء ايضاً والشعب . فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك . **وملكي صادق ملك شاليم** (مدينة السلام وهي اورشليم) اخرج خبزاً وخمراً . فاعطاه ابرهيم عُشراً من كل شيء))

فيؤخذ من هذا الفصل اذا اعتبرنا ان امرافل هو حمو ربي كما يقول الالمان ان ابرهيم الخليل استطاع بثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً ان يكسر جيش حمورابي العظيم وجيش اريوك وجيش لعومر وجيش وتدعال . وما عدا ذلك فملك فخم الجاه والسلطان مثل حمورابي لا يحتاج الى محالفة اولئك الملوك الصغار رغبة في اخذ مدن كسدوم وعمورة وادمة وصوغر . لانه ملك آسيا كلها حتى شاطىء البحر

هذا هو شيء من الاختلاف . اما التشابه فهو كائن في اشتراك التوراة وشرائع حمورابي في كثير من الاصول والعادات والتقاليد . وقد ذكرنا في ما تقدم عقاب « العين بالعين والسن بالسن » المذكور بهذا اللفظ نفسه في شرائع حمورابي . ونحن نذكر الآن شبهاً آخر وهو ان حمورابي يلقب نفسه في شرائعه « ملك البِرّ (الخير) وملك السلام » وهذا الاسم ملك البرّ او ملك الخير او ملك الصدق » ترجمته باللغة العبرانية « ملكي صادق » وملكي صادق هو اسم للكاهن العظيم المذكور في التوراة (راجع فوق السطر الثاني) وهو يُدعى ايضاً ملك شاليم اي ملك السلام — فايهما قلد الآخر . حمورابي قلد التوراة ام التوراة قلدت حمورابي ؟

***

كتاب الامبراطور غليوم ولقد بحث الاستاذ دليتش الالماني بحثاً مسهباً في هذه الاختلافات والمشابهات . والقى فيها خطبة حضرها في برلين علية الناس في جملتهم الامبراطور غليوم والامبراطورة . وقد قال الخطيب في خطبته ان شرائع التوراة مأخوذة من الشرائع البابلية . ثم ختم كلامه بهذه العبارة « اننا نضع يدنا على قلبنا ولا نحتاج الى وحي غير الوحي الذي يصدر منه »

وهذا الاستاذ من اخصاء الامبراطور غليوم ومن اعضاء « جمعية الشرق » الالمانية التي تستخرج الآثار الشرقية القديمة منه . فبعد الخطبة اجتمع بالامبراطور والامبراطورة وصار يحادثهما امام الحاضرين . فاكبر الناس ذلك من الامبراطور غليوم لمعرفتهم حرصه على حفظ التعاليم التقليدية . ونتذكر ان جريدة الطان افردت يومئذٍ فصلا مخصوصاً في صفحتها

الاولى لهذه الحادثة . ولكن بعد اجتماعٍ آخر اجتمعه الامبراطور بهذا الاستاذ كتب الامبراطور الى صديقه الاميرال هولمن الكتاب التالي ليبدي رأيه في تلك الخطبة بصراحة وجلاءٍ . وهذا نصُّ هذا الكتاب الغريب

« عزيزي هولمن

« لا بدَّ ان تكون الرسالة البرقية التي بعثتُ بها اليك قد محت من نفسك الشك الذي كان فيها بشأن نتيجة تلك الخطبة . ولقد فهم السامعون تلك الخطبة كما يجب ان تُفهم . ومع ذلك فيسرّني ان اغتنم هذه الفرصة لابداء رأيي في هذا الموضوع(١)

« ان الاستاذ دليتش في اثناء احدى الاجتماعات المسائية عندنا دخل مع الامبراطورة والوكيل العام دريانذر (وهو من رجال الدين) في بحث استمرَّ عدة ساعات . اما انا فقد جعلت نفسي من جملة السامعين . ولكن الاستاذ من سوء الحظ لم يلبث ان ترك البحث التاريخي المحض في المسائل الاشورية ودخل في مسائل دينية لا محلَّ لها . فلبثتُ مصغياً . غير انه لما وصل في كلامه الى العهد الجديد (الانجيل) لم يبقَ لديَّ شك في رأيه . فانه قال في شخصية مخلصنا اقوالاً شاردة مناقضة رأيي واعتقادي لانه لا يعتقد بلاهوت المسيح . ولذلك كانت التوراة في رأيه لا تحتوي شيئاً من الوحي والنبوَّة عن يسوع بانه المسيح

«فهنا يختفي (في الاستاذ دليتش) المؤرخ والباحث في آثار اشور و يظهر اللاهوتي بكل ما فيه من النور والظلام معاً . اما انا فانني انصحه بان يخطو في هذا السبيل خطوة خطوة بكل تأنٍ وحذر وان لا ينشر آراءه الاَّ في كتب لاهوتية او في دائرة رصفائه . وليكفنا نحن الخارجين عن هذه الدائرة خصوصاً « جمعية الشرق » التي لم تنشأ لتكون ندوة تُلقى فيها كل الآراء ـ عناء البحث في هذه الامور . فاننا انما نحفر في الارض ونستخرج آثارها القديمة ونقرأ ما عليها من الكتابات وننشره لمساعدة العلم والتاريخ وليس لتأييد او نقض الآراء الدينية التي يراها هذا العالم او ذاك . ولا ريب ان دليتش المؤرخ يخلّص دليتش اللاهوتي لان ذاك لا وظيفة له الاَّ اعلاء قدر هذا

«وانني اتاسف لان دليتش لم يقتصر على الغرض الذي بسطه لنا في العام الماضي اعني اتخاذه الآثار القديمة التي تستخرجها جمعيتنا من الشرق دليلاً لمعرفة ما كان للتمدن البابلي القديم من التأثير على التمدن الاسرائيلي لنقف على العادات والاخلاق والشؤون السياسية والشرائع

(١) ترجمنا كلام الامبراطور في هذا الكتاب حرفياً الاَّ في سطر واحد

التي يمكن ان يكون الاسرائيليون قد اخذوها من البابليين ولنرى اذا كان في هذه الآثار ما يرفع ـ من الجهة البشرية ـ عن البابليين الاوصاف التي تصفهم بها التوراة وصفًا لا ريب في انه غليظ وشنيع وغير عادل

,, هكذا كان غرضهُ الاوَّل كما فهمت ذلك منه وقد كان غرضًا كبيرًا يجب علينا نحن المتفرجين ان نشكره عليه . ولكنه من سوء الحظ قد جاوز هذا الغرض من فرط غيرته

,, فان الاثار التي اكتشفت وُجد فيها كما كان ذلك في الحسبان بعض آثار تتعلق بمسائل التوراة الدينية . فحين كلام دليتش على هذه الآثار كان يجب عليه ان يشير اليها و يشرح احوالها ثم يدع السامعين يستخرجون النتائج الدينية التي يرونها . ولو فعل ذلك لنالت خطبته استحسان جمهور السامعين . ولكنه من الاسف ان لا يكون قد اقتصر على ذلك

,,فانه في خطبته اخذ يخوض بلهجة المناقشة والجدال في مسألة الوحي فانكر هذه المسألة قليلاً او كثيرًا ثم ظنَّ نفسه قادرًا على اثبات ان اصلها تاريخي بشري محض . فارتكب بذلك خطاءً عظيماً لانه دخل بهذه المسألة الى باطن النفس ومسَّ هيكلها المقدس في غير شخص من سامعيه الذين تختلف عقولهم باختلاف طبقاتهم . وسواءٌ كان مخطئًا او مصيبًا فانهُ صدَم وقلَبَ في نفوس كثيرين انفَسَ الصور والافكار التي هي ثمينة مقدسة عندهم . وقلقل اساس ايمانهم ان لم نقل انه ضعضعهُ . وهذا عمل لا يجسر عليه احد غير المشاهير اصحاب القرائح والعقول العظمى . واما درس الشؤون الاشورية درسًا بسيطًا فليس مما يستوجب هذا

,,ولقد بحث « جوت » يومًا في هذا الموضوع فقال انه يجب على المتكلم امام جمهور مختلف الطبقات ان يحذر حتى من هدم « هياكل الالفاظ المصطلح عليها » ولكن الاستاذ الكريم نسي من فرط حماسته المبدأ الذي يوجب الفصل بين ما يلائم الكتب وجمهور السامعين وبين ما لا يلائمهم . فانه كلاهوتي يستطيع ان ينشر بين رصفائه او في كتب خصوصية الآراء والافتراضات التي يراها في المسائل الدينية . ولكن لا محل لذكره ذلك في خطبة على الجمهور او في كتب تُنشر بين العامة

,,والآن فانني فيما يختص بالاعتقاد بالوحي اعود الى رأيي الذي بسطته لك غير مرة ياعزيزي هولمن ولكثيرين غيرك . فانني أعتقد بنوعين من الوحي مختلفين . الواحد وحي مستمرّ وهو تاريخي بلا شك والثاني ديني محض لانه عبارة عن تمهيد لمجيء المسيح

« اما رأيي في الوحي الاول فهو دون اقل ريب ان الله يظهر دائمًا في الجنس البشري الذي هو خليقته وصنيعته . فانه هو الذي « نفخ في الانسان روحه » اعني منحه شيئًا من ذاته اي

نفساً حية . وهو يراقب نمو الجنس البشري بعناية الاب ليحسّن احواله . وهو يظهر تارة في رجل عظيم هنا وطوراً في رجل آخر هناك سواء كان ذلك الرجل كاهناً او ملكاً وسواء كان بين الوثنيين او اليهود او المسيحيين

«ولقد كان (حمو ربي) من هؤلاء الرجال كما كان موسى وابرهيم وهوميروس وشارلمان ولوثر وشكسبير وجوت وقنت والامبراطور غليوم الكبير . فان الله اختارهم ورآهم اهلاً لان يعملوا بحسب ارادته اعمالاً عظيمة لا تفنى خدمة لامهم سواء كان ذلك في الحيز الروحي او في الحيز الزمني . وكثيراً ما كان جدي (غليوم الكبير) يقول انه لم يكن سوى آلة في يد الله

«فالله اذاً يرسل اعاظم الرجال للبشر ليستفيد هؤلاء من ثمار عقولهم ويكملوا نموهم ويتمكنوا من المسير في تيه هذه الحياة وطرقها المجهولة . ولا شك في ان الله ظهر في عدة اشخاص على ضروب مختلفة وذلك بحسب حالة الامة ودرجتها من الحضارة . ولا يزال يظهر حتى في عصرنا هذا

« اما النوع الثاني من الوحي وهو الوحي الديني المحض فهو الوحي الذي كانت نهايته ظهور المسيح . وهذا الوحي بدا يظهر منذ زمن ابرهيم ببطء ولكن بحكمة . ولولاه لقضيَ على الجنس البشري

« و بحسب هذا الوحي انمى نسل ابرهيم الايمان باله واحد وهو الايمان الذي كان من الضروري حفظه . وهذا النسل لم يستطع النهوض الاّ بمعونة الله له . وما زال حافظاً هذا الايمان من قرن الى قرن والحوادث يتلو بعضها بعضاً حتى ظهر المسيح وكان ظهوره اعظم ظهور ظهره الله في هذا العالم

«ذلك لان الله ظهر يومئذ في شخص الابن بشكل بشري . وهو مخلصنا . وهو الآن يملأنا حماسة ويدعونا الى اتباعه . واننا لنشعر بناره تحرق في داخلنا . ورحمته تعزّينا . وان كان غضبه يفنينا فان شفقته تحيينا . ومتى كنا متبعين وصاياه فاننا نقتحم كل شيء ولا نخاف شيئاً لا التعب ولا الاحتقار ولا الحزن ولا الفقر ولا الموت لاننا واثقون من النصر . وذلك لاننا نسمع منه الكلام الموحى به من الله وهذا الكلام يَصدق دائماً

« هذا هو رأيي في هذه المسألة . فان (الكلمة) قد صارت عندنا نحن التابعين للكنيسة البروتستنتية بمنزلة كل شيء وذلك من فضل لوثر . ولقد كان على دليتش ان لا ينسى ما كان لوثرنا العظيم يعلمنا انشاده والنداء به وهو (يجب عليكم ان تُبقوا على الكلمة)

«وعندي انه من البديهي ان التوراة تحتوي على عدة فصول من اصل تاريخي اي بشري محض وليست كلاماً موحى به من الله . وهذه الفصول هي عبارة عن تاريخ حوادث عديدة حدثت لشعب اسرائيل في حياته السياسية والدينية والادبية . مثال ذلك الفصل الذي ورد فيه ان الله اعطى موسى على جبل سيناء شريعة بني اسرائيل . فانني اعتقد انه لا يمكن اعتبار تلك الشريعة موحى بها من الله الاَّ اعتباراً شعرياً رمزياً . لان موسى على الارجح قد نقل تلك الشرائع عن شرائع اقدم منها وربما كان اصلها مأخوذاً من كتاب شرائع (حمورابي) ثم اضافها الى شرائع امته وقواها بها . وربما قدر المؤرخ ان يجد اتصالا بين شرائع حمورابي صاحب ابرهيم الخليل وبين شرائع بني اسرائيل لفظاً ومعنىً . ولكن ذلك لا يمنع قطعياً من الاعتقاد بان الله قد اوحى الى موسى وانه ظهر لبني اسرائيل بواسطته

« ولذلك ارى انه يجب على استاذنا الظريف ان يجتنب منذ الآن فصاعداً ادخال المسائل الدينية في الخطب التي يتلوها في حضرتنا . ولكن له ان يبحث بكل حرية في عادات واديان البابليين وغيرهم من الشعوب الذين ورد ذكرهم في التوراة

«اما انا فانني استنتج مما تقدم النتائج التالية

ا) اؤمن باله واحد

ب) نحن الرجال لا غنى لنا لمعرفته عن شيء يمثل ارادته . واولادنا اشد حاجة منا الى ذلك

ت) ان الشيء الذي يمثل ارادة الله عندنا هو التوراة كما وصلتنا بالتقليد . واذا ظهرت اكتشافات اثرية تخالف بعض رواياتها فهذا لا شأن له كما انه اذا فَقدَ بها الشعب المختار (بنو اسرائيل) شيئاً من رونق تاريخه فلا اهمية لذلك ايضاً . ذلك لان روح التوراة تبقى سليمة مهما طرأ على ظاهرها . وهذه الروح هي : الله واعماله

«ان الدين لم يكن قط حادثاً عليماً ليختلف باختلاف العلم والتاريخ وانما هو فيضان من قلب الانسان ومن وجدانه بسبب علائقه مع الله

هذا وانني مع الشكر والثناء ابقى دائماً صديقك المخلص

غليوم

امبراطور وملك

وقد تناولت جميع الجرائد الالمانية هذا الكتاب واسهبت في شرحه وانتقاده ونشر الاستاذ هرنك الالماني الذي هو اليوم اشهر علماء البروتستنت في اوروبا وصديق حميم

للامبراطور غيليوم رأيه في هذه المسألة فدافع عن الاستاذ دليتش دون ان يخطىء الامبراطور فقال ان دليتش ذو فضل لانه كشف اموراً مجهولة وانه يجب ان يُصرح بالحقيقة مهما كانت النتيجة

وقد روت جريدة برلنر تاجبلاط ان قداسة البابا لما اطلع على كتاب الامبراطور غيليوم وافق على مبادئه الاجمالية . وقال احد الكرادلة لمراسل هذه الجريدة في رومه « ان قداسة البابا والامبراطور متفقان في مسألة التوراة ايضاً »

***

﴿ الاعصر التاريخية والاعصر المجهولة ﴾ وعلى ذلك فلا يسع الباحث بعد كل ما تقدم الا ان يقف متأملاً مدهوشاً . وهو لا يُدهش لكتاب الامبراطور غليوم الذي نقض فيه عصمة التوراة وخالف نصها الصريح وموافقة الحضرة البابوية على رأيه . لان المطلع على الحركة الفلسفية والاجتماعية والعلمية في هذا العصر لا يجهل ان عقلاء رجال الدين وقادة الامم قد تركوا الاصرار القديم وصاروا يلتمسون منافذ جديدة للتطبيق بين العلم والدين . واين المبدأ الذي وضعه الامبراطور غليوم هنا (الصفحة ٧٧ السطر ٤و٥) من المبداء الذي اخرج الفيلسوف رنان عن الطريق التي رام سلوكها في شبابه . فان رنان لما كان راهباً وتعمق في درس اللغات الشرقية را ى في التوراة بعض الاغلاط التاريخية فبطل اعتقاده بانها من وحي الله . واما الامبراطور غليوم فانه قد حلّ تلك المشكلة بكتابه هذا اذ قال ان الكتب كلها لا تسلم في تفاصيلها وجزئياتها من امور كهذه لانها كُتبت بايدي بشر وان كانت سليمة منه في إجمالها وكلياتها

وانما الذي يُدهش الباحث في ما تقدم ثبوت ان التمدن البشري في الارض اقدم مما كان يظنه العلماء . ولا يزال الباحثون في بلاد الكلدان يعثرون في كل عام على آثار تثبت هذا الرأي . وقد قال المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية في هذا الموضوع ما خلاصته :

« انني اصدق ان حمورابي قد وضع هذه الشرائع بل انني اؤكده ولكنني ارى كد ايضاً ان كثيراً منها كان موضوعاً قبله . فان سارغون الاول ونارانين اللذين حكما مملكة بابل قد وضعا شرائع لتنظيم حالة المرأة في العائلة وتعيين مسئولية الاطباء والبنائين قبل ان اخذ ذلك الملك الشيخ (حمورابي) شرائعه من فم الاله شماش نفسه (١) بالف وخمسمائة

(١) يقول حمورابي في شرائعه انه تلقاها من فم الاله شماش نفسه ولذلك صور نفسه يكتب والاله يُملي عليه . وشماش باللغة العيلامية اشمس . ولعل هذه الكلمة العربية منقولة عنها

سنة تقريباً . وفي هذا الزمن كان في مصر شرائع اخرى قيل ايضاً انها تلقتها من الاله اوزيريس وهي متناهية في القدم . ولا ريب ان هذه الشرائع المصرية قد نُقلت ايضاً عن شرائع قبلها وهكذا الى ما شاء الله . وانني ارجو ان اولادنا يتمكنون في المستقبل من اكتشاف اسرار تلك العصور القديمة والدخول في تاريخها . بل ارجو ان نقدر نحن انفسنا على ذلك فان هذا الامر لم يعد مستحيلاً لدينا كما كان منذ مائة سنة . ولما نتمكن من هذا الاكتشاف نضطر يومئذ الى الاعتراف بان حدود التمدن في الارض ابعد بكثير مما نظنه الآن وانه كان قبل التمدن البشري المعروف امم عاشت منظمة قبل عصر التاريخ بازمنة بعيدة »

***

بابل مضروبة وضاربة هذا ونحن نختم هذا الفصل الذي طال كثيراً بالرجوع الى بابل تلك المدينة العظيمة التي كانت صاحبة هذه الشرائع والتي قامت في آسيا قديماً كاندن وباريز في اوربا في هذا الزمان . فنقرأ عنها بلذة واسف قول اشعيا الذي ينذرها بالخراب

((انزلي واجلسي على التراب ايتها العذراء ابنة بابل . اجلسي على الارض بلا كرسي يا ابنة الكلدانيين لانك لا تعودين تُدعين ناعمة ومترهفة . خذي الرحى واطحني دقيقاً . اجلسي صامتة واد خلي في الظلام يا ابنة الكلدانيين لانك لا تعودين تُدعين سيدة الممالك »

وقول أرميا

هاءنذا اوقظ على بابل وعلى من فيها ريحاً مهلكة . وارسل اليها مذرّين فيذرّونها ويُفرغون ارضها . اهربوا من وسط بابل وانجوا كل واحد بنفسه لا تهلكوا بذنبها لان هذا زمان انتقام . بابل كأس ذهب تُسكر كل الارض . من خمرها شربت الشعوب ومن اجل ذلك جُنت . سقطت بابل بغتة وتحطّمت ولولوا عليها . داوينا بابل فلم تشف . دعوها ولنذهب كل واحد الى ارضه . ايتها الساكنة على مياه كثيرة الوافرة الخزائن قد اتت آخرتك ـ كف جبابرة بابل عن الحرب وجلسوا في الحصون . نضبت شجاعتهم . صاروا نساء ـ طلع البحر على بابل فتغطت بكثرة امواجه . صارت مدنها خراباً وارضها ناشفة قفراً لا يسكن فيه انسان ولا يعبر فيه ابن آدم »

هكذا كان بنو اسرائيل يضربون بابل وينذرونها بالخراب . ولقد صدقوا في انذارهم . ولكن يا للعدالة الابدية . ان بابل قامت اليوم تردّ اليهم ضرباتهم . واكتشافات شرائع حمورابي في هذا العام ضربة شديدة لضاربيها

مشاهير الغرب

ثلاثة امثلة

باري · لِكوفه · كينه

قلنا في الجزء السابق اننا نترجم في كل جزء رجلاً من مشاهير الشرق ورجلاً من مشاهير الغرب · وقد صدرنا باب المشاهير في هذا الجزء بالكلام عن « حمو ربي » الذي اصبح بعد اليوم من اعاظم مشاهير الشرق · ولما اردنا الانتقال الى الغرب وجدنا اننا طالعنا في الجرائد الاخيرة شيئاً كثيراً عن ثلاثة من مشاهير الفرنسويين اشتغلت بذكرهم الجرائد الفرنسوية في هذا الشهر · فرأينا من الفائدة تلخيص حياتهم الادبية لاتخاذها مثالاً لان كل واحد منهم يمثل مبدءاً وله صورة ادبية خصوصية · وهذه هي الفائدة الحقيقية من كتابة تراجم المشاهير

غاستون باري هو العالم الفرنسوي المشهور رئيس مدرسة كوليج ده فرنس واحد اعضاء الاكاذيمية وجمعية الآثار والآداب · ولد في سنة ١٨٣٩ في افني من اعمال فرنسا وتوفي في كانّ في ٦ مارس لهذا العام · وقد احتفل بجنازته احتفالاً عظيماً مشى فيه العلماء والكبراء والوزراء وكان وزير المعارف الفرنسوية من جملة مؤبنيه

وصاحب الترجمة أشهر عالم بالادب الفرنسوي واللغة الفرنسوية خصوصاً ما كان منها مختصاً بالامور الوسطى · وقد تلقى دروسه الاولى في مدرسة رولين ثم انتقل الى كلية كوتيج وكلية بون الالمانيتين وبعد ذلك دخل مدرسة الشارت الفرنسوية ليتلقى فيها علم قراءة الآثار اللاتينية القديمة · ولما اتمّ دروسه اكبّ على التدريس · وكان ابوه رولين باري استاذاً في مدرسة كوليج ده فرانس فلم يلبث ابنه ان خلفهُ في هذا المنصب · وفي سنة ١٨٧٦ جُعل عضواً لجمعية الآثار والآداب وفي سنة ١٨٩٥ عُين رئيساً لمدرسة كوليج ده فرانس وهو منصب عالٍ جداً وفي السنة التالية جُعل عضواً للاكاذيمية خلفاً للعلاّمة باستور

مؤلفاته — انقطع غاستون باري الى علم واحد وهو علم الادب الفرنسوي واللغة الفرنسوية في العصور الوسطى ولكنه مع ذلك كتب كثيراً في التاريخ والفلسفة لمالهما من العلاقة بذلك

العلم . وهو الثقة الذي ابرز مخبئآت الآداب الفرنسوية القديمة من زوايا الزمان . وأشهر تآليفه الكتب الآتية : « تاريخ شارلمان . قصص شرقية في آداب اللغة الفرنسوية في العصور الوسطى . اقدم آثار اللغة الفرنسوية . درس في اللهجة اللاتينية الكائنة في اللغة الفرنسوية . ترجمة القديس الكسيس . اشعار القرون الوسطى » هذا فضلاً عن مساعدته في تأسيس المجلة الاقتصادية ومجلة رومانيا والمجلة التاريخية وجريدة العلماء التي عهد اليه المجمع العلمي قبيل وفاته باعادة نشرها

اخلاقه — كان غاستون باري عظيم الهامة شامخ الرأس بشعر طويل ولحية بيضاء مهيبة . وكان الادب العلمي واللطف والتساهل في اسمى منزلة عندهُ . وقد حدَّث عنهُ المركيز دي فوكوه فقال : كانت قاعته مجمعاً لاكابر العلماء والاعيان من كل الاحزاب حتى الحزب الملكي . فقد كان يلتقي فيها رنان وباستور وبرتلو والكونت دي مون زعيم الحزب الملكي في مجلس النواب والجنرال دي غاليفه وغيرهم عشرات . وكانوا اذا اجتمعوا بحثوا في كل شيء : في العلم والسياسة والفلسفة والادب مع ان آراءهم متناقضة في هذه المواضيع . ومع ذلك فقد كان بحثهم لطيفاً تزيهاً هادئاً شأن العقلاء والحكماء . ولم يكدّر صفوهم الا مسألة دريفوس التي قسمت فرنسا قسمين . ولكن لما مرَّت حادثة دريفوس عادت جروح تلك القاعة الى الالتئام . والآن بعد وفاة صاحبها صار اكثر من عشرين رجلاً كبيراً في باريز يتساءلون في ظهر يوم الاحد : اين نصرف وقتنا بعد الظهر في هذا النهار

حبه للحقيقة — وهذا هو الخلق الشديد الذي عُرف به . فانه في ٨ دسمبر من عام ١٨٧٠ قال في اوَّل درس القاهُ في مدرسة كوليج دي فرانس ما نصه :

« انني اعتقد اشد اعتقاد ان العلم لا غرض له غير طلب « الحقيقة » وهو يطلب « الحقيقة لذاتها دون ان يهتم بالنتيجة التي تنتج عنها عند العمل بها كأن يُسأل هل تكون « هذه النتيجة حسنة او غير حسنة . وعندي ان كل من ينصرف بالحقيقة قليلاً او كثيراً « عند بحثه في المباحث التي يبحث فيها والنتائج التي يستخرجها منها سواء كان ذلك التصرف « لسبب وطني او ديني او ادبي — لا يستحق ان يكون له مكان في معمل العلم العظيم الذي « يحتاج الى النزاهة والامانة اكثر مما يحتاج الى البراعة »

وقد القى الاستاذ باري هذا الكلام الدري ليعلم سامعوه انه لا ينطق الا بما يوحيه اليه ضميره من الصدق وان كان في ذلك ما يسوؤ . وقد بقيت هذه القاعدة الذهبية قاعدة اعماله كلها في جميع ادوار حياته . وكان كثيراً ما ينفق وقتاً طويلاً ويتعب تعباً شديداً

في تحقيق حرف او كلمة وردت في عبارة قديمة وذلك حفظاً لقاعدته المشهورة اي الاقتراب من الحقيقة المطلقة بقدر ما يمكن الاقتراب منها

اكثر الله في بلادنا مثل هذه الامانة والنزاهة والصدق والجرأة في التحقيق والتعبير وبسط الحقائق فاننا نحن معاشر الشرقيين في اشد حاجة الى هذه الصفات التي هي اخص صفات العلماء والكتّاب الحقيقيين

ارنست لكوفه وكما تعلمنا من صاحب الترجمة السابق كيف تكون النزاهة والامانة وحب الحقيقة والتساهل والتسامح بين الاحزاب المختلفة والجد والعمل نتعلم من ترجمة « ارنست لكوفه » الذي توفي في هذا الشهر ايضاً كيف يستطيع الانسان اجتناب قصر العمر واطالة حياته الى حدها الطبيعي الذي هو مائة سنة كما قيل

ولد ارنست لكوفه في سنة ١٨٧٠ في باريز فكان عمره حين وفاته ٩٦ سنة . وهو « شيخ الاكاذمية الفرنسوية » اي اكبر اعضائها سناً . وقد كان ابوه جبرائيل لكوفه شاعراً وله ديوان عنوانه « قدر النساء » اشتهر منه بيت بليغ في اطراء جنس النساء وهو : « اجثُ باحترام تحت قدمي الجنس الذي منه امك » (١) — اما ابنه صاحب الترجمة فقد كان شاعراً ومؤلفاً للروايات التمثيلية والقصص وخطيباً ومنتقداً . وله عدة مؤلفات منها « فن المطالعة . وتذكارات ستين سنة . وحرب النساء . وبياتريس . وادريانه لكوفرور » وغيرها . وهو لم يشتهر بمؤلفاته اشتهاراً عظيماً وانما كانت شهرته مبنية على كبر سنه وعلى اخلاقه اللطيفة الهادئة التي انضجتها الشيخوخة

وقبل وفاته ببضعة ايام نشر احد الكتاب الباريزيين مقالة دعى فيها الكتّاب والعلماء وعامة الناس الى الاعتبار بصحة لكوفه وحثهم على سؤاله عن طرق معيشته التي أطالت حياته الى هذا الحد . ومما قاله هذا الكاتب ان السر في طول عمر لكوفه إقباله على ترويض جسمه دائماً . فقد كان احبّ شيء اليه اللعب بالسيف والمشي والسباحة والعمل وترك التعب الشديد عقلياً وبدنياً . اي الاعتدال في كل شيء . وقد بقي لكوفه في كل يوم يمارس لعب السيف الى آخر يوم من حياته على رغم كبر سنه . وكذلك كان شأنه في القلم ايضاً فانه في الاسبوع الذي توفي فيه نشر مقالة طويلة في جريدة الطان موضوعها لافونتين ونوع شعره . وقد وصلنا العدد الذي فيه هذه المقالة من باريز في نفس اليوم الذي نقل به

(١) اذا شاء احد الشعراء التقاط هذه الجوهرة ونظمها في بيتين او اربعة نشرنا ابياته مع الشكر

البرق نعيه . فاعجب لشيوخ لهم همة الشباب ولكتاب يموتون والاقلام في ايديهم

وكان قبيل وفاته يقول : انني لا ارهب الموت ولكنني ارهب الطريق الموصلة اليه . يعني نزع الموت . ففي اليوم الذي توفي فيه قال لاهله امام طبيبه : لا تخافوا فاني انام. وفي الحقيقة انه نام نوماً ابدياً بلا نزع ولا اضطراب

وقد احتفل في باريز بجنازته احتفالاً كبيراً ولكن لم يؤبنه احد طبقاً لوصيته . و بوفاته هو وغاستون باري خلت كرسيان في الاكاذمية الفرنسوية وفرغ مكانان بين مشاهير الفرنسويين (١)

ادكار كينه والثالث ادكار كينه الشاعر والمؤرخ والفيلسوف الذي احتفلت الحكومة الفرنسوية في اول مارس لهذا العام بتذكار مرور مائة سنة على يوم مولده . وقد اقيمت هذه الحفلة في قاعة كلية السوربون برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية وتليت فيها عدة خطب منها خطبة لوزير المعارف المسيو شوميه

وادكار كينه شبيه بفكتور هيكو من حيث حب الجمهورية وبذله راحته من اجلها . فانه ولد في علم ١٨٠٣ ونشأ كاتباً وشاعراً ومؤرخاً . ولما اغتصب نابوليون الثالث الحكم واسقط الجمهورية الثانية كان كينه مع فكتور هيكو في جملة المنفيين . وقد آلى كينه على نفسه ان لا يعود الى فرنسا الاَّ بعودة الحرية اليها اي بزوال الحكم الامبراطوري منها . وكان هو وفكتور هيكو اشد اعداء الامبراطور نابوليون الثالث . فلما سقط الامبراطور عاد كينه الى فرنسا واخذ يدعو الى تعليم الشعب تعليماً يمنع عودة مثل هذا الاستبداد والاغتصاب . وهنا ظهرت مزية كينه التي جعلت له بين مشاهير فرنسا مقاماً خصوصياً

فان هذا الرجل جعل همه توحيد كلمة الامة وتربيتها تربية ذيموقراطية . وقد علم انه لا سبيل الى ذلك الاَّ بالمدرسة التي لا دخل للمذاهب الدينية فيها . فصار يدعو الى فصل المدرسة عن الدين ليتعلم فيها ابناء العناصر المختلفة تعليماً واحداً . على انه لم يكن يقصد بذلك اهمال المبادىء الدينية المنزهة عن كل شائبة لانه كان من انصارها وانما كان ينبذ دناءة البشر الذين يتخذون الدين وسيلة للامور السياسية والاغراض الخصوصية . ولذلك لما اقترح فالو في شريعته المدرسية « جعل التعليم الابتدائي شاملاً للتعليم الادبي والديني » اقترح كينه ان يُزاد على هذا النص ما يلي « دون ان تدخل فيه التعاليم المختصة بالمذاهب الدينية المختلفة »

---

(١) في الصفحة السابقة السطر ١٠ (سنة ١٨٧٠) وصوابه سنة (١٨٠٧)

وهذه الخطة التي رسمها كينه هي الخطة التي تجري عليها فرنسا اليوم في مدارسها كلها. وانما اكرمته حكومتها بهذا الاحتفال اعتراقاً بما كان لهُ عليها من الجميل . وقد قال وزير المعارف الفرنسوية في ختام خطبته عنه في هذا الاحتفال ما نصه « كان غرضه ان ينبه الضمائر وينشىء في باطن كل انسان حَرَمًا مقدساً يكون فيه الفكر حرًّا مطلقاً لا تصل القوة اليه ويكون العقل فيه حاكماً مع الحق . واذا انتصر الباطل في خارجه وجد في نفسه قوة على تقريعه »

وكانت وفاة كينه في سنة ١٨٧٥ فسار في مقدمة الجنازة فيكتور هيكو وغمبتا يحيط بهما الحزب الجمهوري في باريز . وابنه فيكتور هيكو وهنري بريسون وغيرهما

ولكينه مؤلفات كثيرة منها « الروح الجديد . وتربية الشعب . والثورة » وهي افضلها. اما صفاته واخلاقه ففي غاية الصدق والنبالة والنزاهة . قال المسيو ديشان : وقد اضرَّت نزاهته هذه بسمعته الادبية . ذلك لان رصفاءه من المؤلفين كانوا لا يألون جهداً في طلب الشهرة والتزلف الى الكتاب ليحسنوا تقريظ مؤلفاتهم واما كينه فانه كان يترفع عن ذلك ولذلك قلما كان الكتّاب يوفونه حقه . وكان كلما صدر كتاب للمؤرخ ميشله صديقه يهتف كينه في الجرائد هتاف الاعجاب والاستحسان فكان ذلك يزيد في مجد ميشله ولكن ميشله لم يكن يقابله بالمثل

ولما علمت حكومة رومانيا بعزم الحكومة الفرنسوية على اقامة ذلك الاحتفال تذكاراً لكينه بعثت الى سفيرها في باريز المسيو غرغوار شيكا تأمره بان ينوب عنها في هذا الاحتفال. ذلك ان كينه كان من مساعدي رومانيا في حوادثها الماضية . وزوجته رومانية تزوج بها في منفاه . وقد خطب هذا السفير في الاحتفال فقال انه يصرّح بالنيابة عن دولته بفضل كينه عليها . وقد قرأ في هذه الخطبة نص الرسالة التي كان قد بعث بها وزير خارجية رومانيا الى كينه يبلغه فيها ما قررهُ مجلس النواب الروماني باجماع الآراء من اعتبار كينه وطنياً رومانياً . وقد كانت الاحزاب المتطرفة قد طلبت من الحكومة الفرنسوية قبل الاحتفال ان لا تشرك فيهِ رومانيا لاضطهادها الاسرائيليين في بلادها وكينه كان عدوًّا لكل اضطهاد وعلى الخصوص الاضطهاد الديني . غير ان الحكومة لم تصغِ اليهم وكان المسيو ديلكاسه وزير الخارجية يحادث السفير في اثناء الحفلة وقد حيّاه بلطفٍ بعد خطبته